وان تصاب بالمرض ... حيثما تصبح كل الارض التي تحتها ، هي ارض الزنزانة ... متران في ثلاثة امتار ...

غير أنه كلما كان يحاصره الاحساس بالسجن ، كان ينظر الى رؤوس الجبال ... ويشعر بالطمأنينة ... وكان يحس بالامان ...

ولكن ... لماذا هذا الاحساس بالسجن ...؟

● ●

في ايامه الاولى في خربة الطبقة ، حدثه والده عن الايام الاولى للاحتلال ... ساعات حظر التجول الطويلة ... وغارات التفتيش المستمرة عن السلاح ... وعمليات اخراج الخربة بأكملها في العراء ... وتدوين اسمائهم ... والكشف عن هوياتهم ... وعشرات الاسئلة التي كان يوجهها العسكري الاسرائيلي لهم ... عن ميولهم السياسية وعن رأيهم في « اسرائيل » ؟ وأسئلة كثيرة ... تشبه ضربة كعب البندقية فوق الوجه ...

ـ وهل صادروا أسلحة كثيرة من الخرب والقرى ...؟

ويرد عليه والده :

ـ لم يترك « الاردنيون » ، غير اكوام زبالتهم ... اما الاسلحة ... فقد انسحبوا بها وراء النهر ...

ـ و « ابو علي » ، راعي الغنم ...؟

ـ لم أعد اراه ... كثيرا ... ولكنه كان يسأل عنك كلما صادفته في الطريق ...

ـ والمدرسة والمدرسون والطلاب في « دورا » ...

ـ انتزعوا كتب التاريخ والجغرافيا من أيديهم ... وانتزعوا كتبا اخرى وكوموها في ساحة المدرسة ، واضرموا فيها النار ... قالوا ، انها تحرض على الكراهية ...؟

وهم ... يحرضون على ماذا ...؟ الذين يشعلون النيران في الكتب ، والذين يحتلون الارض ... هم بالحاكم العسكري الاسرائيلي ... وبضباطه ... هم بعمليات التصفية والقهر والنسف ، وبجنازير دباباتهم التي تعض الارض ... هل يحرضون على الحب ...؟

لاول مرة يدرك باجس ابو عطوان ، ان الكراهية هي احد الاسلحة التي يفتش عنها الاحتلال ، كما يفتش عن بقية الاسلحة ... وعلى باجس ابو عطوان ، ان يحافظ على هذا السلاح الذي يملكه الان : سلاح الكراهية ... هذه البوصلة التي سوف تقود قدميه في يوم قريب الى طريق الجبل .

[٥]

« ... ولم يكن العدو كيس رمل ولا كيس ماء ... »

كانت عودة باجس ابو عطوان ، لخربة الطبقة ، في ايام الحراثة ... ، حيث يشتد تعلق الفلاح بالارض وعشقه لها ... وبالذات في مراحل القهر والاحتلال حيث تصبح الارض في خطر ... وفي هذه المرحلة ، تجيء أيام الحراثة ، لتجدد ارتباط الفلاحين بالارض ، من خلال سكاكين المحاريث ... ومن خلال المحراث الذي يشق الارض ،